جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

المجـــلة العلميـــة

سورة الفاتحة

جامعة المقاصد وناجعة القاصد

إعداد

د/ سامي حسن سيف عثمان

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

(العدد الثامن عشر ٢٠٢١م)

سورة الفاتحة جامعة المقاصد وناجعة القاصد

سامى حسن سيف عثمان
قسم التفسير وعلوم القرآن، وزارة الأوقاف، الجامعة: الأزهر: المدينة: قنا، الدولة: مصر.
البريد الإلكتروني: Duaa.metawi@gmail.com

ملخص البحث:
سورة الفاتحة أم القرآن اشتملت على مقاصده وأهدافه من التوحيد والبعث والجزاء والعبادة وطلب الهداية وقصص الأولين من الأنبياء والصالحين والمغضوب عليهم والضالين لذلك كانت جامعة المقاصد وفيها إشارات إلى تعليم المسألة وتدرج العبد فى مدارج الهداية فمن التزم منهجها بلغ المقصود من قصدها استفتاحاً لأمر أو تبرك بها وبأسرارها كانت كافيه وهى ناجعة القاصد فأشتمل هذا البحث على ما دلت عليه الفاظها من مقاصد وما تضمنته معانيها من إشارات وهدايات وبيان الترتيب بين هذه المقاصد وكيف أنبنى اللاحق على السابق من عباراتها حتى أوعت واستوعبت الكثير من المعاني مع قلة الألفاظ والمباني .

الكلمات المفتاحية: الفاتحة، المقاصد، التوحيد، البعث، القصص، الهداية، العبادة، الاستعانة.

Surah Al-Fatihah gathering of Al-Maqasid and the Effectiveness of Al-Qasid

Sami Hassan Seif Othman

Department of: Interpretation and Sciences of the Qur'an, College: Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, University: Al-Azhar: City: Qena, Country: Egypt.

E-mail: Duaa.metawi@gmail.com

Abstract:

Surat Al-Fatihah, Mother of the Qur'an, included its purposes and objectives of monotheism, resurrection, reward, worship, seeking guidance, and the stories of the early prophets, the righteous, and those who were angry with them. And the misguided, for this reason was gathering of the purposes and in it there were references to the teaching of the matter and the gradation of the servant in the paths of guidance, so whoever adhered to its approach reached the purpose of its intention to open an order or to be blessed with it and its secrets, it was sufficient and it was effective for the purpose. Between these purposes and how the later was built on the previous from its phrases until it understood and absorbed many meanings with the lack of words and premises.

Keywords: Al-Fatihah, Purposes, Monotheism, Resurrection, Stories, Guidance, Worship, Seeking help.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه التابعين، وبعد

فقد سعدت بمعايشة سورة الفاتحة ودراسة مقاصدها فوجدتها جمعت أصول القرآن ومقاصده ووجدت فيها الخير الكثير لقارئها ومن قصدها لرقية أو تداوى أو تبرك فجعلت عنوان هذا البحث سورة الفاتحة جامعة المقاصد وناجعة القاصد فهو بحث في مقاصدها ومع تحقيق هذه المقاصد عند تاليها ففيها النفع الكثير والأثر الكبير وهو ما عبرت عنه بالنجع كما قال ابن منظور(١) وغيره نجع الشيء إذا نفع وظهر أثره من غذاء أو دواء أو غير ذلك والنجعة الخير الكثير عند العرب إذا نزل الغيث الكلأ وقد سلكت أهذا البحث على غير عادة المفسرين حيث يصدرون تفسيرهم بذكر مقاصد السور عند من يذكرها منهم والمقاصد تستنبط من خلال تدبر الآيات فجعلت تفسير الآية وتدبرها أولا ثم ختمتها بذكر مقاصدها التي تراءت لي من خلال تفسيرها ولعل غيري إذا نظر في تفسير الآية أن يحيط بما لم أحط به فالقرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد فقدمت للبحث بتمهيد بينت فيه: -

أولًا: - معني المقاصد وأهميتها وطرق معرفتها ومراحل دراستها.

ثانيًا: - التعريف بسورة الفاتحة ونزولها وأسمائها وفضلها وكيف جمعت أمهات مقاصد القرآن ثم ذكرت تفسير الآيات آية آية ولم أجعل عليها ترجمة من مقاصدها حيث تعددت المقاصد في الآية الواحدة إما بصريح العبارة وإما بتضمن الإشارة ثم عرضت مجملا لأسلوب الفاتحة في ذكر مقاصدها ثم الخاتمة والمصادر.

(١) لسان العرب لابن منظور

أسأل الله أن يستعملني ولا يستبدلني ولا يحرمني فضل هذه السورة المباركة وبركة القرآن العظيم والمسلمين أجمعين.

أولًا: - التعريف بالمقاصد وأهميتها: -

(مادة قصد تعنى الطلب تقول قصدت الشيء وقصدت له وإليه معنى واحد والجمع قصود واعترض على جمعه لأنه جنس وأجبت بأن السمع ورد به فجمعوه لتنوعه واختلافه كالعلوم والظنون وجمع مقصد: مقاصد، والقصد العدل والتوسط بين الإسراف والبخل والقاصد القريب والقصد الرشد والمقصد بفتح الصاد المصدر وبكسرها مكان القصد وقصد في الأمر أي توسط وطلب الأسد وطريق قصد أي سهل) [(١)].

وحاصل ما هنالك أن القصد: يدل على الطلب ومن ذلك يتضح أن مقاصد القرآن ما طلبه الله من عباده والهدف من كل سورة من سور القرآن حيث يدور فلكها حوله وتتصل آياتها بيانا لهذا الهدف وقد يكون جليا في مطلعها أو مستنبطا استقراء إياها

أهمية دراسة المقاصد: -

١- تدبر القرآن حيث إنه هو الطريق للوقوف على المقاصد

٢- يساعد الفهم المقاصد على تفسير الآيات وفقا للحكمة التي سيقت من أجلها والموضوع الذي تدور حوله.

(١) المصباح المنير للعلامة احمد بن محمد بن على الفيومي المقرئ ص (٢٦٠، ٢٦١) باختصار طبعة جديدة محققة اعتنى بها الأستاذ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية (بيروت، صدا وينتظر مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازي ص (٢٥٤) المكتبة العصرية (صدا-بيروت).

٣- يتمكن المفسر إذا وقف على المقصد أن يرجح عند الاختلاف ما يوافق المقصد من الآيات ومن ذلك ما رجحته في رسالتي العالمية الدكتوراه من أن قوله- تعالى-: (لا يمسه إلا المطهرون) لا يمنع المحدث من مس المصحف لأن الأولى باعتبار مكان النزول بمكة وطعن المشركين على القرآن أنه تنزلت به الشياطين أن يكون المقصد منها الدفاع عن القرآن.

٤- بمعرفة مقاصد سور القرآن يهتدي الخلق إلى مراد الحق – عز وجل- وبالمثال له يسعدون في الدارين قد تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة كثير من العلماء (وقالوا إن هناك مقاصد للشريعة ومقاصد للقرآن وأكثر الدراسات حول مقاصد الشريعة ورائد هذا المجال الشاطبي في الموافقات ومقاصد القرآن عرفها العز بن عبد السلام بأنها اكتساب المصالح وأسبابها وترك المفاسد وأسبابها وهذا التعريف أقرب إلى مقاصد الشريعة أما مقاصد القرآن فهي ما تدور حوله سور القرآن وآياته بيانا للرسالة ومنهجها في إصلاح البشرية وعدها أبو حامد الغزالي ستة مقاصد ثلاثة أصلية وثلاثة متفرعة عنها أما الأصلية فهي:

١- التعريف بالله عز وجل.

٢-الطريق المستقيم إليه.

٣-أحوال الواصلين إليه والتابعة لهذه الثلاثة.

٤-أحوال السالكين.

٥- محاجة الجاحدين.

٦- عمارة الطريق وزاد المتأخرون في بيان مقاصد القرآن وكلها لا تعد وهذه الأصول فكتب فيها.

٧- (الطاهرين عاشور، ومحمد رشيد رضا، وعزت دروزه).

وكتب الشيخ محمد الغزالي كتابة المحاور الخمسة للقران الكريم:

المحور الأول: – الله الواحد.

المحور الثاني: – الكون الدال على خالقه.

المحور الثالث: – القصص القرآني.

المحور الرابع: – البعث والجزاء.

المحور الخامس: ميدان التربية والتشري [١].

(والمحاور: جمع محور وهو المركز الذي يدور حوله الموضوع والمحاور والمقاصد بمعني واحد وهما لا يرادان لذاتهما بل للتوصل إلى أغراض النصوص فالمقاصد والمحاور والأغراض تلتقي لتكون معوانا على فهم القرآن وبيانا لحكمه وقد دعانا القرآن لذلك قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) [٢].

وقال تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [٣].

وقال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)، [٤] وغيرها من الآيات البينات التي بينت مقصد الحق عز وجل – في آياته وأحكامه [٥].

---

(١) المحاور الخمسة للشيخ محمد الغزالي ص (٢٤٥/٢٤٦) الطبعة الرابعة لسنة ١٤١٥هجرية ١٩٩٤ ميلادية طبعة دار الصحوة للنشر

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) سورة الحديد (٢٣).

(٤) سورة النساء (١٠٥).

(٥) مقاصد القران ط عيسى ابو عكاز ص ٨١ الي ٩٢وينظر أمهات مقاصد القرآن لعز الدين كشنيط رسالة دكتوراة بالجزائر.

ثانيا: - التعريف بسورة الفاتحة:

سورة الفاتحة مكية عند أكثر أهل العلم [١] وهو الصحيح لأنه لا يعرف في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب وكان فرض الصلاة قبل الهجرة وأسمائها قريبة من ثلاثين: الفاتحة – فاتحة الكتاب لافتتاح القرآن بها – وأم القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله – تعالى – بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد، سورة الكنز الوافية وسورة الحمد والمثاني لأنها تثني في كل ركعة، وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أن منهم من عد (أنعمت عليهم) دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس وسميت السبع المثاني وزاد النيسابوري من أسمائها الأساس لأنها أول سور القرآن، فهي كالأساس، أو لأنها تشتمل على أساس العبادات والمطالب قال الشعبي:- سمعت عبد الله بن عباس يقول:- أساس الكتب القرآن وأساس القرآن فاتحة الكتاب، وأساس الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فإذا اعتللت واشتكيت، فعليك بالأساس تشف بأذن الله-تعالى- وتسمى تعليم المسألة؟ لأن الله- تعالى علم فيها آداب السؤال فبدأ بالثناء ثم بالإخلاص ثم بالدعاء) [٢].

وتسمى الرقية لقوله – :- لمن رقى بها (وما يدريك أنها رقية قال يا رسول الله شيء ألقاه الله في نفسي) [٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمود بن يعقوب الفيروز ايادي المتوفي سنة ٨١٧هجرية ص ١٢٨ تحقيق الاستاذ محمود علي النجار الطبعة الثالثة لسنة ١٤١٦هجرية – ١٩٩٦ ميلادية.

(٢) غرائب القران ورغائب الفرقان تأليف النيسابوري (١/١٤٩،١٤٨).

(٣) صحيح بين حبان ص٦١١٢أخرجه في صحيحة.

*((**فضلها**))

((يتجلى فضل هذه السورة الكريمة في كثرة أسمائها فكثرة الأسماء شرف للمسمى روى الترمذي عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله – :—: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهى مقسومة بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل)) وسورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن الكريم (عن أبى سعيد بن المعلى – رضى الله عنه قال: كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله :— فلم أجبه حتى صليت فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلى فقال:

((ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم))؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن؟ قال((الحمد لله رب العالمين؟ هي (السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) [1].

سورة الفاتحة أفضل القرآن :

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: – كان – صلي الله عليه وسلم – في مسير له، فنزل، ونزل رجل إلى جانبه، فالتفت إليه النبي –:–فقال: (ألا أخبرك بأفضل القرآن) قال: فتلا عليه (الحمد لله رب العالمين) [2].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القران باب ومن سورة الحجر (٢٧٧/٥) رقم ٣١٢٥وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح باب تأويل قوله – تعالى – ((ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (١٣٩/٢) عن الحسين بن حريث به وأخرجه الإمام أحمد (١٤/٥)وأخرجه الحاكم في كتاب فضائل القران (٥٥٧/١) وأخرجه الدارمي في كتاب فضائل القران باب فضل فاتحة الكتاب (٥٣٨/٢)رقم ٣٣٧٣ وأخرجه الطبراني في المعجم الاوسط (٢٧٩/٦) رقم ٦٤١١ الحكم علي الحديث : صحيح وأخرجه الطبراني في المعجم الاوسط (٢٧٩/٦) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب (١٥٦/٨) رقم ٤٤٧٤ وأخرجه ابو داود في كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب (٧٢/٢رقم ١٤٥٨). =

(روي مسلم والنسائي عن ابن عباس قال: – بينما جبريل قاعد عند النبي –صلي الله عليه وسلم – سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال:" هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منها الا أعطيته) [1].

جمع الفاتحة لمقاصد القرآن

جاء القرآن لمصالح العباد في المعاش والمعاد وصلاحهم مرهون بالعبادة لأن الخالق يعلم ما يصلح خلقه وقد سخر لهم الكون وجعله ملائم لهم فالتوحيد والرسالة واليوم الآخر والشريعة والقصص كلها تبني الدين والدنيا وإذا وردت هذه المقاصد في سورة القرآن وأخذت كل سورة بحظها فقد جمعت الفاتحة هذه المقاصد كلها.

=(١١/٢) رقم (٨٠١٠) وفي كتاب التفسير في سورة الفاتحة (٢٨٣/٤) رقم ١٠٩٨١ وفي سورة الحجر في قوله – تعالي – (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) (٣٧٥/٦) رقم ١٢٧٠وأخرجه بن ماجه في كتاب الادب باب ثوان القران (١٢٤٤/٢رقم ٣٧٨٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبري في كتاب فضائل القران باب فضل= أخرجه النسائي في السنن الكبرى في فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب (٨٠١١/١١/٥) فقال : أخبرنا عبد الله بن عبد الكريم قال : ثنا علي بن عبد الحميد قال : ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك فذكره وأخرجه الحاكم في كتاب فضائل القرآن في فضيلة فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة (٥٦٠/١) وقال هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه وأقوال الذهبي وأخرجه البيهقي في السنن الصغير في كتاب فضائل القرآن باب تخصيص فاتحة الكتاب بالذكر (٢٦٩/١) رقم ٩٦٩ وأخرجه البيهقي أيضا في شعب الإيمان باب تعظيم القرآن فصل في فضائل السور والآيات ذكر فاتحة الكتاب (٤٤٤/٢) رقم (٢٣٥٨) الحكم علي الحديث / صحيح فقد أخرجه بن حبان والحاكم علي تصحيحه وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٨٥/٣)رقم(١٤٩٩)وقال الحديث صحيح.

يقول الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي: -

(المقصود من نزول هذه السورة تعلم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتلقين بشكر نعم المنعم والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله- تعالى -، والتنبيه على ترقب العبد للحساب والجزاء يوم القيامة، واخلاص العبودية عن الشرك، وطلب التوفيق والعصمة من الله، و الاستعانة والاستمداد في أداء العبادات، وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله، والرغبة في سلوك مسالكهم، وطلب الأمان من الغضب، والضلال في جميع الأحوال والأفعال، وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء، واستنزال للرحمة، وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة الكتاب)[1].

يقول الأستاذ أحمد مصطفي المراغي: -

(سميت الفاتحة أم الكتاب، أم القرآن لاشتمالها على مقاصد القرآن من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده).

يقول الدكتور عبد الله شحاته جمعت الفاتحة أصول الإيمان وأهداف القرآن [2].

(والمتتبع لأهداف القرآن الكريم الواقف على مقاصده ومعارفه يرى أنه جاء تفصيلا لما أجملته هذه السورة وحددته من صلاح العقيدة واستقامة السلوك [3] وسميت الأساس

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) والنسائي في المجتبى (٩١١) وفي الكبري (٩٨٤) وابن أبي شيبه (٤٢٣/٧) وأبو يعلى (٢٤٨٨) وابن حبان (٧٨٧) والطبراني في الكبير (٢٢٥٥) والبيهقي في شعب الايمان (٢٣٦٠) من حديث ابن عباس.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز أبادي ص١٢٩ تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ط٣ لسنة ١٤١٦ هجرية – ١٩٩٦ميلادية.

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور عبد الله محمود شحاته ص ٤/(٣٨٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب لسنة ١٩٧٩.

لأنها أصل القرآن فهي مشتملة على مقاصد القرآن إجمالا ثم فصل القرآن ما أجملته الفاتحة وبيان هذا أن القرآن الكريم اشتمل على التوحيد؟ وعلى وعد من أخذ به بحسن المثوبة ووعيد من تجافى عنه وتركه بسئ العقوبة؟ وعلى العبادة التي تحي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس؟ وعلى بيان سبيل السعادة الموصل الى نعيم الدنيا والاخرة؟ وعلى القصص الحاوي أخبار المهتدين الذين وقفوا عند الحدود التي سنها الله لعباده، وفيها سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، والضالين الذين تعدوا الحدود ونبذوا أحكام الشرائع وراءهم ظهريا وقد حوت الفاتحة هذه المعاني جملة [1].

وقد يقول قائل: قد تكون سورة غيرها من سور القرآن حوت هذه المقاصد أو أكثرها فلم جعلتها جامعة المقاصد وحدها؟

أقول غيرها قد يقرا بعضها ويقف القارئ على أي جزء منها أما هذه فهي الوافية التي تقرأ كاملة.

الاستعاذة :

ورد الاختلاف في عد البسملة آية من الفاتحة فعدها الكوفيون والمكيون ولم يعدها غيرهم وعلى الأخذ بعدها آية يقتضي البحث الوقوف على الاستعاذة لما بينهما من ارتباط وما فيهما من جليل المقاصد وعظيم الفوائد يقول- الامام القرطبي- رحمه الله ــ :

(أمر الله – تعالى – بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال – تعالى: – (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) [2]

(١) تفسير المراغي تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفي المراغي استاذ الشريعة الاسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا.

(٢) سورة النحل آية (٩٨)٠

أي إذا أردت ان تقرأ، فأوقع الماضي موقع المستقبل [1].

وتتجلي مقاصد الاستعاذة في هذه الأمور: -

الأول: - أعوذ بالله عروج من الخلق إلى الحق ومن الممكن إلى الواجب لأن أعوذ إشارة إلى الحاجة التامة، وبالله اشارة إلى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات، ومن عرف نفسه بالضعف والقصور عرف الله بأنه قادر على كل مقدور، ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال، ومن عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب

الثاني: - سر الاستعاذة الالتجاء إلى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من أعظم الطاعات؛ ولذلك جاء (من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته أفضل ما أعطي السائلين) فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة.

الثالث: - عند القرار من العدو الغدار يقول: أعوذ بالله من الشيطان، وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول: بسم الله الرحمن الرحيم.

الرابع: - الاستعاذة تطهر اللسان عم جرى عليه من ذكر غير الله؟ وإذا حصل الطهور استعد للصلاة الحقيقة وهي ذكر الله؟ فيقول بسم الله.

الخامس: - إذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملائكة (يمددكم ربكم بخمسة الآلاف من الملائكة مسومين) [2]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري (١٠٤/١) تحقيق إبراهيم محمد الجمل.

(٢) سورة آل عمران (١٢٥)٠

وإذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك (إن عبادي ليس لك عليهم بسلطان) [١]

(لأن العدو الظاهر إن غاب كنا مفتونين، ومن قتله، ومن قتلة العدو الظاهر كان شهيدا، ومن قتلة العدو الباطن كان طريدا، ولا خلاص من شره إلا بأن يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) [٢]

(أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه)، وهو قول القارئ:

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) [٣]

(وأعوذ بالله اي اعتصم به وألتجأ) [٤] (إنما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر الأسماء، لأن العد كلما كان أشد احتيج إلى عدة اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية إنما هو الله، فكأن العبد قال أعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لم يرضي بشيء من المنكرات من الشيطان الرجيم) [٥].

(والشيطان من شيط أي: احترق أو من شطن أي: بعد) [٦].

(وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان) [٧]

---

(١) سورة الحجر (٤٢)٠

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف النيسابوري (٥٥/٥٤/١) تحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور/ حمزة النشرتي – الشيخ عبد الحفيظ فرغلي–الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد مصطفي.

(٣) تفسير القرطبي (١٠٥/١)٠

(٤) مختار الصحاح (٢٢١)٠

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥٦/١)٠

(٦) ينظر المصباح المنير (١٧١) وينظر مختار الصحاح (١٧١)٠

(٧) تفسير القرطبي (١٠٨/١)٠

(والرجيم رجم – الرجم القتل، وأصله: الرمي بالحجارة وبابه نصر فهو (رجيم) ومرجوم الرجمة كالعجمة واحدة الرجم) [١]

(والرجيم المبعد عن الخير المهان والرجم القتل واللعن والطرد والشتم) [٢]

(وقد ورد في القرآن الكريم، وفي أكثر من موضع، ذكر ابليس، والجن، والشيطان، على أنها قوي خفية، تتحرك في مجال الإنسان، وتخالط سره ونجواه، دون أن يراها، أو يشعر بما تدخل به عليه من وساوس، وخطرات هذا المقام أن ابليس والشيطان يذكران دائما في معرض التحذير منهما والنقمة عليه، ثارا لما حل على ابيهم ابليس من غضب الله ولعنته حين أبى أن يستجيب لأمر الله بالسجود لآدم .....

س: من ابليس؟

وإذا كان ابليس والشيطان وجهين من وجوه الفتنة والاضلال لبنى آدم فهل هما اسمان لمسمى واحد؟ أو أنهما كائنان؟ لكل منهما ذاتية؟ وقد جمع بينمهما البعض لآدم وذريته .

وكان من ذلك تحذير من الله – تعالى – لآدم وذريته منهما؟ والتنبيه ولغدرهما وهجومها؟

كلما غفل عنهما الإنسان؟ والذي ينظر في القرآن الكريم؟ ويتتبع المواقف التي ذكر فيها ابليس والشيطان يرى: أن ابليس هو المذكور عند خلق آدم وأمر الله للملائكة بالسجود وكان داخلا في هذا الأمر فلما استكبر حسدا لآدم وكبرا عن السجود له لعنة الله وكان هذا اللعين وذريته هم الغاوين المغواة لبنى آدم الموسوسون لهم بالشر.

---

(١) مختار الصحاح (١١٩)٠

(٢) تفسير القرطبي (١٠٩/١)٠

أما الجن فانه يتضح مما جاء في القرآن الكريم عنهم؟ أنهم من طبيعة قابلة للخير والشر كما كان منهم المؤمنون بالله) [١]

فأمر الله عباده أن يستعيذوا به ليحفظهم من شر الشياطين وأفرد للتعوذ من شياطين الإنس والجن سورة ختم بها كتابه سورة الناس وقد سبقها سورة الفلق وورد التعوذ فيها من أشياء متعددة وكان التعوذ من الشيطان ضمنا في قوله سبحانه (من شر ما خلق) [٢]

إلا أنه ورد صريحا لأهميته في سورة مستقلة لم يذكر معه غير لطفا من الله بعباده فليأخذوا حذرهم من عدوهم المبين الشيطان الرجيم وبعد الاستعاذة وهي تخلية انتقل إلى التحلية وهي البسملة.

(الآية الأولى البسملة)

يقول الفخر الرازي عن الارتباط بين الاستعاذة والبسملة (أعوذ بالله إشارة إلى نفي ما لا ينبغي من العقائد والأعمال وقوله (بسم الله) إشارة إلى ما ينبغي من الاعتقادات والعمليات، فقوله: (بسم الله) لا يصير معلوما إلا بعد الوقوف على جميع العقائد الحقه، والأعمال الصافية وهذا هو الترتيب الذي يشهد بصحته العقل الصحيح والحق الصريح، والباء للإلصاق (أي: بسم الله أشرع) [٣].

(١) الشيطان والإنسان بين أوليائه وأعدائه الشيخ عبد الكريم الخطيب (١٤/ ١٨) ط دار الفكر العربي.

(٢) سورة الفلق (٢).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢٨/١).

١ــ والمقصود من التسمية: قول الإنسان (بسم الله) أما البسملة فهي قول (بسم الله الرحمن الرحيم) وأورد الحق عز وجل – البسملة تعليما لعباده كيف يتبركون باسمه [١] تعلق الباء في (بسم الله) فحرف الجر يتعلق بالفعل أو ما معناه يقول صاحب الكشاف (فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ قلت: بمحذوف، وتقديره: بسم الله أقرأ أو أتلو، لأن الذي يتلو التسمية مقروء، كما أن المسافر إذا حل أو ارتجل فقال: بسم الله والبركات، كان المعنى: بسم الله أحل، وبسم الله ارتجل، ولذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله، (بسم الله) كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له قدم الاسم الجليل على المتعلق كما قدمه ضميرا في قوله: (إياك نعبد) للاختصاص لقوله – عز زجل –: (بسم الله مجراها ومرساها) [٢]، فإن قلت: فقد قال: (اقرأ باسم ربك) [٣]

فقدم الفعل، قلت: هناك تقديم الفعل اوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم . [٤]

(الباء للإلصاق أي: بسم الله أشرع) [٥]

(وهو من الأسماء المحذوفة الإعجاز: كيد ودم، وأصله: سمو بدليل تصريفه: كأسماء، وسمي، وسميت واشتقاقه من السمو، لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشاده بذكره) [٦].

---

(١) ٢ الكشاف (٥/٤/١).
(٢) سورة هود (٤١) ٣/.
(٣) ٤ سورة العلق (١).
(٤) ٥ ينظر الكشاف (٣/٢/١).
(٥) مفاتيح الغيب للرازي (٢٨/١)
(٦) الكشاف (٥/٤/١).

(والباء في (بسم) للالتصاق فهو يوصل العبد إلى الرب وهو نهاية المطلب وأقصى الأمد وقيل: إنما وقع ابتداء كتاب الله – تعالى – بالباء دون الألف تطاول وترفع، والباء انكسر وتساقط ومن تواضع لله رفعه ونجا نوح عليه السلام بقوله:(اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بنصف البسملة فكيف بمن قالها كاملة وهي حجاب بين الجن وعورات بني آدم)[١].

قال الإمام القرطبي: – (الله) هذا الاسم أكبر أسمائه – سبحانه – وأجمعها حتى قال بعض العلماء: أنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره ولذلك لم يثن أو يجمع وهو أحد تأويلي قوله – تعالى –: (هل تعلم له سميا) [٢].

أي: من تسمي باسمه الذي هو: (الله) فالله اسم للإله الحق الجامع لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي لا إله إلا هو – سبحانه – وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد – وقيل معناه: واجب الوجود الذي لم يزل ولايزال، والمعني واحد)[٣].

واختلف العلماء في هذا الاسم هل هو مشتق أو علم للذات العلية غير مشتق؟

على قولين: – القول الأول: – أنه مشتق وهو على وجوه:

١. أنه مشتق من أله بالفتح فيهما (ألاهه) أي عبد.

٢.أنه من أله أو تحير وبابه طرب وأصله وله يوله ولها.

(فالله سبحانه تتحير الألباب وتذهب في حقائق صفاته والفكر في معرفته) [٤].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٤٢/١٤٧).

(٢) سورة مريم (٦٥).

(٣) القرطبي (١/١٢٠/١٢١).

(٤) تفسير القرطبي (١/١٢١).

٣. أنه مشتق من قولهم ألهت إلى فلان أي فزعت اليه لأن الخلق يألهون اليه أي يفزعون الي الله [١].

٤. قيل إن لاه يليه إذا ارتفع، لارتفاعه؟ – تعالى – عن مشابهة الممثليات .

٥. من لاه يلوه إذا احتجب لاحتجابه – تعال – عن العيون.

٦. قيل أصله لاه البرق يلوه إذا لمع وأضاء لإضاءة القلوب ولمعانها بذكره – تعالى – ومعرفته [٢].

٧. قال الإمام القرطبي: زعم بعضهم أن الأصل فيه (الهاء) التي هي الكناية عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجود في فطر عقولهم وأشاروا اليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام الملك إذا قد علموا أنه خالق الاشياء ومالكها فصار (له) ثم زيدت فيه الالف واللام تعظيما وتفخيما) [٣].

إلى غير ذلك من الاقوال التي تقول بأن لفظ الجلالة علم مشقق.

القول الثاني: – (ذهب أكثر العلماء إلى أن لفظ الجلالة علم للذات المقدسة غير مشتق وهو مذهب من يوثق بعلمه) [٤].

(١) مجمع البيان لعلوم القرآن – للأمام ابن علي الفضل بن الحسين الطبرسي (٢٩/١) ج١ دار القرآن للطباعة والنشر.
(٢) بصائر ذوي التمييز (١٤/١٣/٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٢٢/١).
(٤) تفسير أسماء الله الحسني لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد (٢٦/٢٥/١) تحقيق أحمد يوسف القاق ج١دار الثقافة العربية – دمشق

قال الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي:

(وقال الاكثرون علم مرتجل غير مشتق وعزي للأكثريين من الفقهاء والأصوليين، وغيرهم ومنهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والامام الرازي، والدليل أنه لو كان مشتقا لكان معناه معني كليا لا يمنع نفس مفهومة من وقوع الشركة لأن لفظ المشتق لا يفيد الا أنه شيء ما حصل له ذلك المشتق منه؟ وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين وحيث أجمع العقلاء على أن قولنا: لا إله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا أنه علم للذات، وأنها ليست من المشتقات) [1].

(ورجح الكثير من العلماء أنه(الله) هو اسم الله الأعظم) [2].

(الرحمن الرحيم)

(الرحمن: اسم خاص بالله، والرحيم: يطلق عليه وعلى غيره فان قيل: فعلي هذا الرحمن أعظم. فلم ذكر الأدنى بعد ذكر الأعلى؟

والجواب: – لأن الكبير العظيم لا يطلب منه الشيء الحقير اليسير، حكي أن بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر فقال: جئتك لمهم يسير فقال: اطلب للمهم اليسير رجلا يسيرا، كأنه – تعالى – يقول:

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١٣/١٢/٢).

(٢) ينتظر مفاتيح الغيب للرازي (١٠٠/١) وينظر القرطبي (٢٠/١) وينظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسني لأبي حامد الغزالي تحقيق. محمد عثمان الخشن (٦٠) الأسماء الحسني والتجليات وأدعية لعبد الغلام محمد بدوي (٤٣) ط دار المعارف وينظر الأسماء الحسني لحمد علي صلاح (٢٣) الطبعة الأولي لسنة ١٤٠٩ هجرية – ١٩٨٩ ميلادية وينظر بصائر ذوي التمييز (١٢/٢).

لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاحتشمت عني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة، ولكن كما علمتني رحمانا تطلب مني الامور العظيمة، فأن أيضا رحيم، فاطلب مني شراك نعلك وملح قدرك، كما قال – تعالى – لموسى: (يا موسي سلني عن ملح قدرك وعلف شاتك) [1].

(**مقصود البسملة**):

(ومن مقصود البسملة يقول ابن جرير – أن الله أدب نبيه محمدا :-بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسني أمام جميع أفعاله، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنه يسنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها، في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتي أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل:- (بسم الله) علي ما بطن من مراده الذي هو محذوف) [2] يدل عليه الحال والمقام يقول الامام محمد عبده معني بسم الله ان الانسان يتجرد من حظ نفسه ويفعل بسم الله [3].

الآية الثانية:-(**الحمد لله رب العالمين**)

(الحمد لله قال أبو جعفر ومعني الحمد: الشكر خالص الله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه، من

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٨٧/١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (٥٣١٠/٢٢٤) ص ج١١٧/١ ط دار الحديث – القاهرة.

(٣) الاعمال الكاملة للأمام محمد عبده (٦١٤/٤).

الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم – فلربنا الحمد. الحمد علي ذلك كله أولا وآخرا) [١] وان كان شيخ المفسرين فسر الحمد بمعني الشكر فقد ذهب صاحب الكشاف إلى القول بأن بينهما عموم وخصوص فقال: – (الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمه وغيرها تقول: حمدت الرجل على انعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته).

وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر، ومن قوله – علىه السلام: – "الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده "[٢] (وانما جعله رأس الشكر، لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها، أشبع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشيئته والحمد تقيضه الدم، والشكر تقبضه الكفران) [٣] (قوله – سبحانه – وتعالى:– " الحمد لله " روي أبو محمد عبد الغني ابن سعيد الحافظ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي –صلي الله عليه وسلم –قال إذا قال العبد الحمد لله قال صدق عبدي الحمد لي) وروي مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم: – (إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) .

---

(١) تفسير الطبري (١٠٩/١).

(٢) قال ابن حجر أخرجه عبد الرازق عن معمر عن قتاده عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه به مرفوعا وفيه انقطاع: وعن ابن عباس مثله. رواه البغوي في تفسير (سبحان) وفيه نصر بن حماد وهو ضعيف.

(٣) الكشاف الزمخشري (٩/٨/١).

وقال الحسن): – ما من نعمة إلا والحمد لله أفضل منها) [1] وعن وجه الارتباط بين البسملة والحمد يقول الألوسي – رحمه الله: – (ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهي نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصي درجات الكمال فقال جل شأنه: (الحمد لله رب العالمين) وهو أول الفاتحة وآخر الدعوات الخاتمة كما قال – تعالى – وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) [2] كان الحب دائرة بقلبي فأوله وآخره سواء.

(وقد قيل للجنيد قدس سره ما النهاية؟ فقال الرجوع إلى البداية وفيه اسرار شتى، والحمد على المشهور هو الثناء باللسان على الجميل سواء تعلق بالفضائل أم بالفواصل، قالوا ولابد لتحققه من خمسة أمور محمود به ومحمود عليه وحامد ومحمود وما يدل على اتصاف المحمود بصفه) [3].

يقول الإمام الرازي – رحمه الله –

(أنه – تعالى – لم يقل أحمد الله ولكن قال:" الحمد لله " وهذه العبارة الثانية أولى لوجوه:

أحدها: أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك أنه كان القائل قادرا على حمده أما لما قال (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهو – تعالى – محمود من الأزل الى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

ثانيها: – أن قولنا (الحمد لله) معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكة، فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد.

---

(١) تفسير القرطبي (١/١٥١).

(٢) سورة يونس (١٠).

(٣) روح للمعاني للألوسي (١/٦٧).

ثالثها: – أنه لو حمد الله لكان قد حمد لكن لا حمدا يليق به، وأما إذا قال (الحمد لله) فكأنه قال من أنا حتى أحمده؟ لكنه محمود بجميع حمد الحامدين.

رابعها: – ان الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والاجلال؟ فإذا تلفظ الإنسان أحمد الله مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع أنه ليس كذلك؟ أما إذا قال (الحمد لله) سواء كان غافلا أو مستحضرا لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقا لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه، وهذا المعني حاصل سواء كان العبد مشتغلا بمعنى التعظيم والإجلال أولم يكن، فثبت أن قوله (الحمد لله) أولى من قوله أحمد الله لأنه قد يكون كاذبا في قوله أشهد، ولهذا قال – تعالى – في تكذيب المنافقين (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) ولهذا السر أمر في الأذان بقوله أشهد ثم وقع الختم على قوله لا إله إلا الله)[1].

(رب العالمين)

الرب: المالك ومنه قول صفوان لأبى سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن تقول: ربه يربيه فهو رب، كما تقول: نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الناقة؟ وقوله – تعالى – (ارجع الى ربك)؟ (إنه ربى أحسن مثواي) [2].

(قال بعض العلماء: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم، لكثرة دعوة الداعين به، وتأمل ذلك في القرآن، كما في آخر (آل عمران) وسورة (إبراهيم) وغيرهما، ولما

(١) مفتاح الغيب (٢٧١/١).
(٢) الكشاف (١٠/١).

يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال واختلف في اشتقاقه، فقيل: إنه مشتق من التربية، فالله – سبحانه – تعالى مدبر لخلقه ومربيهم، ومنه قوله – تعالى : (وربائبكم اللاتي في حجوركم) [1] فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات)[2].

(واعلم أن تربيته تعالى – مخالفة لتربية غيره؟ وبيانه من وجوه: –

الأول: – ما ذكرناه أنه– تعالى – يربى عبيده لا لغرض نفسه بل لغرضهم وغيرهم يربون لغرض أنفسهم لا لغرض غيرهم.

الثاني: –أن غيره إذا ربى فبقدر تلك التربية يظهر النقصان وفي خزائنه وفي ماله وهو – تعالى – متعال عن النقصان والضرر، كما قال – تعالى –" وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ".

الثالث: – أن غيره من المحسنين إذا أهم الفقير عليه أبغضه وحرمه ومنعه، والحق– تعالى – بخلاف ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى يحب الملحين في الدعاء"

الرابع: –أن غيره من المحسنين ما لم يطلب منه الإحسان لم يعط.

أما الحق – تعالى – فإنه يعطي قبل السؤال، ترى أنه رباك حال ما كنت جنينا في رحم الأم وحال ما كنت جاهلا غير عاقل، لا تحسن أن تسأل منه، ووقاك وأحسن اليك مع ما سألته وما كان لك عقل ولا هداية.

---

(١) سورة النساء (٢٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/١٥٧/١٥٨).

الخامس: -أن غيره من المحسنين ينقطع احسانه إما بسبب الفقر أو الغيبة أو الموت، والحق -تعالى – لا ينقطع إحسانه البتة.

السادس: -أن غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم ولا يمكنه التعميم أما الحق -تعالى- فقد وصل تربيته وإحسانه إلى الكل كما قال: " ورحمتي وسعت كل شيء "[1] فثبت أنه تعالى – رب العالمين ومحسن إلى الخلائق أجمعين، فلهذا قال – تعالى – في حق نفسه .

" الحمد لله رب العالمين .....[2](والعالمين جمع عالم والعالم: اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل: كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض فإن قلت: لم جمع؟ قلت: ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت: هو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام قلت: ساغ ذلك لمعني الوصفية فيه وهي الدلالة على معني العلم) [3].

ولما أثبت بقوله:" الحمد لله" أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه ربا مالكا منعما فقال: " رب" وأشار بقوله:" العالمين " إلى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلالات بالمصنوع على الصانع وبالبداءة.

مقاصد هذه الآية: - "الحمد لله رب العالمين"

١-توحيد الألوهية والربوبية حيث جعلت الحمد كله لله فالنعم منه جميعا والخلق والأمر وأثبتت ربوبيته للعالمين.

---

(١) الأعراف (١٥٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨٢/١/٢٨٣).

(٣) مفاتيح الغيب ٢٨٢/١

٢-ساقت الآية بذكر العالمين استدلالا بالصنعة على الصانع وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

٣-مجئ وصف الربوبية بعد الحمد لقصد بيان استحقاقه سبحانه للمحامد كلها حيث إنه الرب الذي أوجد ورزق ودبر شئون خلقه فكل بالعناية مشمول وعلى جناح النعمة محمول.

الآية الثالثة: (الرحمن الرحيم)

(يذكر ابن جرير – رحمه الله –استدلال القائلين إن البسملة ليست آية من الفاتحة لتكرار قوله " الرحمن الرحيم ولا وجه لا عادتها عندهم) (١).

وقال الامام الألوسي: (واستدل بعض ساداتنا بتكرارهما على أن البسملة ليست آية من الفاتحة وليس بالقوي لأن التكرار لفائدة، فذكرهما في البسملة تعليل للابتداء باسمه عز شأنه، وذكرهما هنا تعليل لاستحقاقه – تعالى الحمد) (٢).

(الرحمن اسم خاص بالله، والرحيم: يطلق عليه وعلى غيره فإن قيل: فعلى هذا الرحمن أعظم فلم ذكر الأدنى بعد ذكر الأعلى؟

والجواب: لأن الكبير العظيم لا يطلب منه الشيء الحقير اليسير، حكي أن بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر فقال: جئتك لمهم يسير فقال: اطلب المهم اليسير رجلا يسيرا، كأنه تعالى يقول: لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاحتشمت عني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة، ولكن كما علمتني رحمانا تطلب مني الامور العظيمة، فأنا أيضا رحيم،

(١) تفسير الطبري (١/١١٤/١١٥).
(٢) روح المعاني للألوسي (١/٨٢).

فاطلب مني شراك نعلك وملح قدرك كما قال تعالى لموسى: "يا موسى سلني عن ملح قدرك وعلف شاتك ".

(قوله تعالى: " الرحمن الرحيم " وصف نفسه – تعالى– بعد رب العالمين) بأنه " الرحمن الرحيم " لأنه لما كان في اتصافه ب " رب العالمين" ترهيب قرنه بـ " الرحمن الرحيم " لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع كما قال " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم و أن عذابي هو العذاب الأليم [١] وقال: " غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول "[٢] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله – :— قال: " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد"[٣].

(ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة اتبع ذلك بصفتي " الرحمن الرحيم" ترغيبا في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنيه تفصيل ما شمله الحمد أصلا) [٤].

ومن مقاصد هذه الآية: -

١/ دلت على الإيمان بالأسماء والصفات بلفظها ومقصود إيراد هذين الاسمين الرجاء عند استماعهما ثم الخوف عند استماع ما بعدهما " مالك يوم الدين " وبالخوف والرجاء يصل المريد إلى رحاب الله – عز –وجل –.

(١) سورة الحجر (٤٩/٥٠).
(٢) سورة غافر (٣).
(٣) تفسير القرطبي (١/١٥٩/١٦٠).
(٤) نظم الدرر (١/١٤).

٢/ يتضمن هذان الاسمان عميم الرحمة الربانية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وذلك رحمه من الله بعباده كي ينجو من عذابه.

الآية الرابعة (مالك يوم الدين)

(ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد لتمام التصرف، وكان المالك قد لا يكون ملكا ولا ينم ملكه إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله: "مالك يوم الدين " ترهيبا من سطوات مجده) [١].

(وهذه الاوصاف التي أجريت على الله سبحانه – من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته، ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق، ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله الحمد لله – دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحدا أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله)[٢].

(قوله –تعالى – " مالك يوم الدين " أي مالك يوم البعث والجزاء، وتقريره أنه لابد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي، والموافق والمخالف وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء كما قال – تعالى – "ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسني "[٣] وقال تعالى – "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار "[٤] وقال:–" ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزي كل

(١) نظم الدرر (١٤/١).
(٢) الكشاف للزمخشري (١٣/١٢/١).
(٣) سورة النجم (٤).
(٤) سورة ص (٢٨).

نفس بما تسعي "[1] واعلم أن من سلط الظالم على المظلوم ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل أو لكونه راضيا بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى محال، فوجب أن يقتص للمظلومين من الظالمين، ولما لم يحصل على هذا الانتقام في دار الدنيا وجب أن يحصل في دار الأخرى بعد دار الدنيا، وذلك هو المراد بقوله: "مالك يوم الدين " وبقوله " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره "[2].....)[3].

(يقول الامام القرطبي: –

(لا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم ولا يدعي به إلا الله تعالى، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريره قال، قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – " يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض "

وعنه أيضا عن النبي – صلي الله عليه وسلم –قال: " إن أخنع اسم عند الله رجل تسمي ملك الأملاك – زاد مسلم – لا مالك إلا الله – عز وجل – "

قال سفيان: " مثل: شاهان شاه وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمر الشيباني عن أخنع، فقال: أوضع " وعنه قال، قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل " كان " يسمي ملك الأملاك لا ملك الا الله سبحانه قال ابن الحصار: وكذلك " ملك يوم الدين " و" مالك الملك " لا ينبغي أن يختلف في أن هذا محرم على الجميع المخلوقين كتحريم ملك الأملاك سواء، وأما الوصف بمالك وملك:

.....فيجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما قال الله تعالى: "إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا "[4].

---

(١) سورة طه (١٥).

(٢) سورة الزلزلة (٨/٧).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢٩٠/٢٨٩/١).

(٤) سورة البقرة (٢٤٧).

وقال صلي الله عليه وسلم-: "ناس من أمتي عرضو على غزاة في سبيل الله يركبون في شبح هذا البحر ملوك على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة"(١).

مقاصد هذه الآية:

مع أن هذه الآية كلماتها معدودة إلا أنها حوت مقاصد عديدة منها:

١ــ أنها قد أشارت مع سابقها إلى أوصاف الله وجلالة وكماله وملكه الدائم وانفراده بالملك يوم الجزاء.

٢ــ أثبتت البعث والجزاء وهو متطمئن لإثبات الوعد والوعيد.

٣ــ ورود هذه الآية قبل ذكر العبادة والاستعانة له مقصد جليل وهو أن المتعبد يضع نصب عينية لقاء ربة فيحمله على الطاعة ويحول بينة وبين المعصية وبينت صورة الفرقان أن الذي حمل الجاحدين على التكذيب والعناد عدم الايمان بيوم الدين قال – تعالى-"بل كذبوا بالساعة"(٢).

٤ــ هي إشارة إلى السمعيات من أهوال القيامة والصراط والميزان والحساب والجنة والنار لكون ذلك كله في هذا اليوم العظيم

الآية الخامسة "إياك نعبد وإياك نستعين"

يقول الإمام الزمخشري:

(أيا ضمير منفصل للمنصوب، واللواحق، التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك إياك، وإياه، لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب، كما لا محل

(١) تفسير القرطبي (١٦٢/١).
(٢) سورة الفرقان (١١).

للكاف في أرأيتك، وليست بأسماء مضمرة، وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون، وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب " إذا بلغ الرجل الستين فإياه وأيا الشواب " فشيء شاذ لا يعول عليه، وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، كقوله تعالى: قل أفغير الله تأمروني أعبد)، (قل أغير الله أبغى ربا) والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة [1](والعبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتي به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم: طريق معبد، أي مذلل واعلم أن قولك (إياك نعبد)[2] معناه لا أعبد أحدا سواك والذى يدل على هذا الحصر وجوه:

الوجه الأول: – أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم، وهى لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الإنعام، وأعظم وجوه الإنعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به، فالمرتبة الاولى – وهى الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع– وإليها الإشارة بقولة تعالى "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا " [3] وقولة "كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم "[4].

والمرتبة الثانية: هي خلق المنتفع به – وإليها الاشارة بقوله تعالى " وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا "[5].

ولما كانت المصالح الحاصلة في هذا العالم السفلي إنما نتنظم بالحركات الفلكية على سبل إجراء العادة لا جرم اتبعه بقوله: "ثم استوي إلى السماء فسواهن سبع سماوات

---

(١) الكشاف (١٣/١).
(٢) الفاتحة (٥).
(٣) سورة مريم (٩).
(٤) سورة البقرة (٢٨).
(٥) سورة البقرة (٢٩).

وهو بكل شيء عليم "[١] فثبت ما ذكرنا أن كل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى – فوجب أن لا تحسن العبادة إلا لله – تعالى – فلهذا المعني قال " إياك نعبد " فإن قوله " إياك نعبد يفيد الحصر" [٢].

(والعبادة أعلي مراتب الخضوع ولا يجوز شرعا ولا عقلا فعلها إلا لله – تعالى – لأنه المستحق لذلك لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعها ولذلك يحرم السجود لغيره سبحانه لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب وموطئ الأقدام والنعال غاية الخضوع وقيل لا تستعمل إلا في الخضوع له سبحانه وما ورد من نحو قوله تعالى – (إنكم وما تعبدون من دون الله) وارد على زعمهم تعريضا لهم ونداء على غباوتهم وتستعمل بمعني الطاعة ومنه (ألا تعبدوا الشيطان) وبمعني الدعاء ومنه (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) وبمعني التوحيد ومنه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وكلها متقاربة المعني وذكر بعض المحققين أن العبادة لها ثلاث درجات:

١.لأنه إما أن يعبد الله – تعالى – رغبة في ثوابه أو رهبة في عقابه ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متابعة الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو أدوم وأشرف وهذه مرتبة نازله عند أهل الله – تعالى – وتسمي عبادة.

٢. وإما أن يعبد الله تعالى – تشرف بعبادته أو لقبوله لتكاليفه أو بالانتساب إليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمي بالعبودية.

٣. وإما أن يعبد الله – تعالى – لاستحقاقه الثاني من غير النظر إلى نفسه بوجه من الوجوه وهو لا يقتضيه إلا الخضوع والذلة وهذه أعلي الدرجات وتسمي بالعبودة وإليه

(١) سورة البقرة (٢٩).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١/ ٢٩٦/٢٩٧).

الاشارة بقول المصلي (صلى الله – تعالى – فإنه لو قال أصلي لثوابه –تعالى – مثلا أو للتشريف بعبادته فسدت صلاته) [١].

٢–" إياك " أي يامن هذه الصفات صفاته "نعبد "إرشادا لهم إلى ذلك، ومعني " ونعبد" كما قال الحرالي: تبلغ الغاية في أنحاء التذلل، وأعقبه بقوله مكررا للضمير حثا على المبالغة في طلب العون " وإياك نستعين " إشارة إلى عبادته لا تتهيأ إلا بمعونته وإلى أن ملاك الهداية بيده: فانظر كيف ابتدأ سبحانه بالذات، ثم دل عليه بالأفعال ثم رقي إلى الصفات، ثم رجع إلى الذات ايماء إلى أنه الأول والآخر المحيط فلما حصل الوصول إلى شعبة من علم الأفعال والصفات علم الاستحقاق للأفراد العبادة فعلم العجز عن الوفاء بالحق فطلب الإعانة، فهو كقوله – صلي الله عليه وسلم – فيما رواه البخاري ومسلم وأبو داود في الصلاة والترمذي وابن ماجه في التعوذ والنسائي وهذا لفظه في التعوذ عن عائشة – رضي الله عنهما:

"أعوذ بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك، وبك منك ".

ثم أتبعه فيما زاد من النسائي الاعتراف بالعجز في قوله:" لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "وفي سور: " اقرأ " شرح بديع لهذا الحديث.

قال الحرالي: وهذه الآيات أي هذه وما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله من نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف ألسنتهم وأحوالهم وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه لقصورهم وعجزهم فتولي الله الوكيل على كل شيء الأنبياء منهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وسع خلقه وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلا لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم وإتماما

(١) روح المعاني للألوسي (٨٧/٨٦/١).

للنعمة عليهم، لأنه تعالى وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه مما يكون أداء لحق فضله عليهم بذلك وإذا كانوا لا يستطيعون الأنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله وتمجيده، فإذا ليس لهم وصلة التلاوة كلامه العلي بفهم كان ذلك أو بغير فهم، وتلك هي صلاتهم المقسمة.

وفي قوله (" نعبد " بنون الاستتباع اشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع) [1].

(ولقائل أن يقول: قوله "الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين " كله مذكور على لفظ الغيبة، وقوله "إياك نعبد وإياك نستعين" انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، فما الفائدة منه قلنا فيه وجوه:

الأول: أن المصلي كان أجنبيا عند الشروع في الصلاة، فلا جرم أثني على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله " مالك يوم الدين " ثم أنه تعالى كأنه يقول له حمدتني وأقررت بكوني إلها ربا رحمانا رحيما مالكا ليوم الدين فنعم العبد أنت، قد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة.

وقل " إياك نعبد "

الثاني: أن أحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة، ألا تري أن الأنبياء عليهم السلام لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا: "ربما ظلمنا أنفسنا " [2] " ربنا اغفر لنا " [3] "

---

(١) نظم الدرر (١٧/١٦/١).
(٢) سور الأعراف (٢٣).
(٣) سورة الحشر (١٠).

رب هب لي " [1]" رب أرني " [2] والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد وأيضا العبادة خدمة، والخدمة في الحضور أولى.

الثالث: أن من أول السورة إلى قوله " إياك نعبد " ثناء، فالثناء في الغيبة أولي ومن قوله " إياك نعبد وإياك نستعين " إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى.

الرابع: العبد لما شرع في الصلاة وقال نويت أن أصلي تقربا إلى الله فينوي حصول القربة، ثم انه ذكر بعد هذه النية أنواع من الثناء على الله فاقتضي كرم الله اجابته في تحصيل تلك القربة، فنقله من مقام الغيبة إلى مقام الحضور، فقال: " إياك نعبد وإياك نستعين "[3].

ثم بين الفخر الرازي حكمة تقديم " إياك نعبد " على " إياك نستعين " مع أن الاستعانة تسبق العبادة لأنها طاب العون عليها فأجاب رحمه – الله – على ذلك بأن العبد يقول يا رب ها أنا قد شرعت في عبادتك وأتيت بقلبي فأعني على عبادتك وثبت قلبي على دينك[4].

مقاصد هذه الآية:

١– دلت هذه الآية على العبادة والاستعانة وجاء ذكرهما بعد ذكر يوم الدين لأنهما سبيل النجاح.

٢–افادت بطريقة الحصر حيث قدم المفعول على الفعل لقصد اخلاص العبادة وقصر الاستعانة على الله وحده.

---

(١) سورة الشعراء (٨٣).

(٢) سورة الاعراف (١٤٣).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (١/٣٠٧/٣٠٨).

(٤) نفس المصدر (١/٣٩) بتصرف.

٣--ما فيه من الخطاب يشير إلى مرتبة الاحسان.

الآية السادسة "اهدنا الصراط المستقيم "

وصلة هذه الآية –بقوله – سبحانه – "إياك نعبد واياك نستعين "كما يقول الامام البقاعي – رحمه الله – (في الآية السابقة ندب إلى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام بحوله وقوته، فاقتضي ذلك توجيه رغبات اليه بالسؤال فقال:" اهدنا الصراط المستقيم " تلقينا لأهل لطفه وتنبيها على محل السلوك الذي لا وصول بدونه، والهدى)[١].

قال شيخ المفسرين: ومعني قوله "اهدنا الصراط المستقيم " في هذا الموضع عندنا: وفقنا للثبات عليه، كما روي ذلك ابن عباس [٢].

("اهدنا الصراط المستقيم "هدي اصلة ان يتعدى باللام أو بإلى، كقوله –تعالى–"ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم"[٣].

"وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم"[٤] فعومل معاملة –اختار –في –قولة تعالى: "واختار موسي قومة " [٥] ومعني طلب الهداية–وهم مهتدون–طلب زيادة الهدي بمنح الالطاف كقولة تعالى –"والذين اهتدوا زادهم هدي" [٦]"والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا "[٧]وعن علي وأبي –رضي الله عنهما–: اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة، لان كل واحد منها طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة) [٨].

---

(١) نظم الدرر (١٧/١).
(٢) تفسير القرطبي (١٣٤/١).
(٣) سورة الاسراء (٩).
(٤) سورة الشورى (٥٢).
(٥) سورة الشورى (٥٢).
(٦) سورة الأعراف (١٥٥).
(٧) سورة محمد (١٧).
(٨) سورة العنكبوت (٦٩).

الصراط هو الطريق وذكر الأمام القرطبي عن محمد بن الحنفية في قوله عزوجل: (اهدنا الصراط المستقيم، هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وقال عاصم الاحول عن ابى العالية: "الصراط المستقيم "رسول الله– صلى –الله عليه وسلم وصاحباه من بعده قال عاصم الأحول فقلت للحسن: أن أبا العالية يقول: "الصراط المستقيم " رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه، قال صدق ونصح) [1] (وللمحققين في معني اهدنا وجوه دفعوا بها ما يوشك أن يسأل عنه من أن المؤمن مهتد فالدعاء طلب لتحصيل الحاصل.

أحدها: أن معناه ثبتنا على الدين كيلا تزلزلنا الشبهة وفى القرآن (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) وفى الحديث " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

وثانيها: –أعطنا زيادة الهدى كما قال – تعالى – "والذين اهتدوا زادهم هدى ".

ثالثها: – أن الهداية الثواب كقوله – تعالى – "يهديهم ربهم بايمانهم " فالمعني اهدنا طريق الجنة ثوابا لنا وأيد بقوله – تعالى" الحمد لله الذي هدانا لهذا ".

رابعها: (أن المراد دلنا على الحق في مستقبل ممرنا كما دللتنا عليه في ماضيه ولهم بعد أيضا بعض كلمات متقاربه غير هذا ولعله يغنيك عن الكل ما ذكره الفقير فتدبره ولا يغفل) [2] وقال الامام البقاعي نقلا عن الحرالي (والصراط الطريق الخطر السلوك، والآية من كلام الله – تعالى – " على لسان العلية من خلقه وجاء مكملا بكلمة "أل" لأنه الصراط الذي لا يضل بمهتديه لإحاطته ولشمول سريانه وفقا لشمول معني الحمد في الوجود كله) [3].

---

(١) تفسير القرطبي (١/١٦٧/١٦٨).

(٢) روح المعاني للألوسي (١/٩٣).

(٣) نظم الدرر (١/١٧).

مقاصد هذه الآية: -

١- الترغيب في دعاء الله عز وجل.

٢- لزوم طريق الطاعة.

الآية السابعة "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين "

قال الامام الزمخشري:

(بدل من الصراط المستقيم، وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، كما قال " الذين استضعفوا لمن آمن منهم " فان قلت ما فائدة البدل؟ وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة علي أبلغ وجه وأكده)[١](قوله – تعالى – "صراط الذين أنعمت عليهم "بدل من الصراط الأول بدل الكل من الكل وهو الذي يسميه ابن مالك البدل الموافق أو المطابق تحاشيا من إطلاق الكل على الله تعالى – في مثل صراط العزيز الحميد الله، وفائدة الابدال تأكيد النسبة بناء على أن البدل في حكم تكرير العامل والإشعار بأن الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين فيكون ذلك شهادة لاستقامة صراطهم على أبلغ وجه وأكده وقيل صفة له ومن غريب المنقول أن الصراط الثاني غير الأول وكأنه نوي فيه حرف العطف وفي تعيين ذلك اختلاف، فعن جعفر بن محمد هو العلم بالله والفهم عنه وقيل موافقة الباطن للظاهر اسباغ النعمة وقيل التزام الفرائض والسنن ولا يخفى (أن هذا القول خروج عن الصراط المستقيم فلا تتعب جواد القلم فيه) [٢].

(١) الكشاف للزمخشري (١/١٥/١٦).

(٢) روح المعاني للألوسي (١/٩٣/٩٤).

ويبين حبر الأمة – رضي الله عنه – المراد بالذين أنعم الله عليهم كما أورده عنه شيخ المفسرين (طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك) [١].

قوله – تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

يقول فخر المفسرين: (المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود، لقوله – تعالى: "من لعنه الله وغضب عليه " [٢].

والضالين: – هم النصارى لقوله – تعالى – " قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل"[٣].

وقيل هذا ضعيف؟ لأن منكري الصانع والمشركين أخبث دينا من اليهود والنصارى فكان الاحتزاز عن دينهم أولي، بل الأولي أن يحمل المغضوب عليهم علي كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق، ويحمل الضالون على كل من أخطأ في الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقيد خلاف الأصل، ويحتمل أن يقال: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون، وذلك لأنه تعالى– بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات من أول البقرة، ثم اتبعه بذكر الكفار وهو قوله:: " إن الذين كفروا "[٤] ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله: " ومن الناس من يقول آمنا " [٥] فكذا ههنا بدأ بذكر المؤمنين

(١) تفسير الطبري (١/١٣١).
(٢) سورة المائدة (٦٠).
(٣) سورة المائدة (٧٧).
(٤) سورة البقرة (٦).
(٥) سورة البقرة (٨).

وهو قوله: "أنعمت عليهم " ثم اتبعه بذكر الكفار وهو قوله "غير المغضوب عليهم " ثم اتبعه بذكر المنافقين وهو قوله: "ولا الضالين " [١]

وذكر الإمام القرطبي أن المراد بالمغضوب عليهم والضالين عند الجمهور أنهم اليهود والنصارى وذلك تفسير النبي – صلي الله عليه وسلم – ثم قال: – ("وقيل المغضوب عليهم" باتباع البدع، "والضالين " عن سنن الهدي قلت: وهذا أحسن، وتفسير النبي – صلي الله عليه وسلم أولي وأعلي وأحسن) [٢].

والغضب من صفات البشر وهو معروف وقد اختلف العلماء في صفة الغضب بالنسبة إلى الله – تعالى – هل هي الشدة أم إرادة الانتقام وأجمل الأقوال وأقربها إلى الاعتدال قول الإمام الألوسي (وأنا أقول كما قال سلف الأمة هو صفة لله – تعالى – لائقة بجلال ذاته لا أعلم حقيقتها ولا كيف هي والعجز عن درك الإدراك إدراك والكلام فيه كالكلام في الرحمة حذو القذة فهما صفتان قديمتان له – سبحانه وتعالى) [٣].

وقال الإمام البقاعي رحمه الله: –

(قوله –تعالى – "غير المغضوب عليهم " أي الذين نعاملهم معاملة الغضبان لمن وقع عليه غضبه، وتعرقت "غير " لتكون صفة للذين بإضافتها إلى الضد فكان مثل: الحركة غير السكون ولما كان المقصود لأن السياق له وإنما غير بها دون أداة استثناء دلاله على بناء الكلام بادئ بدء على إخراج المتلبس بالصفة وصونا للكلام عن أفهام أن ما يعد أقل ودون لا " ولا الضالين فعلم مقدار النعمة على القسم الأول وأنه لا نجاة إلا باتباعهم وأن من حاد عن سبيلهم عامدا أو مخطئا شقي ليستمر أولو الجد عن ساق

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣١٨/٣١٧/١).
(٢) تفسير القرطبي (١٧/١).
(٣) روح المعاني للألوسي (٩٥/١).

العزم وساعد الجهد في اقتفاء آثارهم للفوز بحسن جوارهم في سيرهم وقرارهم)[1].

(ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها:" آمين "، ويقال "آمين "بالقصر أيضا، ومعناه اللهم استجب، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حجر، قال سمعت النبي – صلي الله عليه وسلم –: –قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال " امين " ومد بها صوته، وقال الترمذي: حديث حسن) [2].

مقاصد هذه الآية: -

١–الاعتراف بنعم الله عز وجل – وأجلها الهداية.

٢–الاقتداء بالصالحين واجتناب مسالك الطالحين.

أسلوب عرض مقاصد الفاتحة

(الأسلوب هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه)[3].

(١) نظم الدرر (١٨/١).

(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم للعلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر ص ٦٦/١ أعده أنور الباز تحقيق أحمد محمد شاكر ج١ دار الوفاء لسنة ١٤٢٩ هجرية.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ص ج٢١٨/٢ ط دار الفكر.

واستعير قلم الاستاذ الكبير محمد عبد العظيم الزرقاني في بيان أسلوب سورة الفاتحة حيث يقول: (هذه سورة الفاتحة، تأمل كيف تترابط وتتناسق في حسن تخلص من معني إلى معني ومن مقصد إلى مقصد لقد افتتحت متوجهه " باسم الله " كما يتوج القاضي كل حكم من أحكامه باسم جلالة الملك، لإعلان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور احكامه ثم انتقل الكلام فيها سريعا إلى الاستدلال على أن الاستعانة انما هي به – تعالى – وحده، وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة الذي هو اسم الذات الجامع لصفات الكمال، ويوصف لفظ الجلالة بأنه " الرحمن الرحيم " ثم انتقل الكلام أنه – تعالى – مستحق للمحامد كلها مادام أنه المستعان وحده بالدليل ثم انتقل الكلام إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الجلالة مجري الأوصاف في مقام حمده (الحمد لله رب العالمين [٢] الرحمن الرحيم [٣] ملك يوم الدين) [١] ثم انتقل الكلام إلى اعلان وحدانية، في ألوهيته وربوبيته (إياك نعبد وإياك نستعين) [٢] ما دام أنه هو المعين وحده، ومستحق المحامد كلها وحده ثم انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان، وأن هذا المطمح الأعلى هو الهداية إلى الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطمح عن طريق أحد إلا الله وحده، بقرينة ما سبق من أدلة التوحيد والتمجيد قبلة (اهدنا الصراط المستقيم) [٣].

ثم انتقل الكلام من حيث لا تشعر أومن حيث تشعر إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام تنبيها وإغراء على المقصود، وتحذيرا وتنفيرا من الوقوع في تقيض هذا المقصود (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

(١) الفاتحة (٢-٤).
(٢) الفاتحة (٥).
(٣) الفاتحة (٦).

ولا الضالين) [1]. وإذا الناس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق واتباعه ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به، وضال رضي أن يعيش عيشة الأنعام، في متاهة الجهالة والحيرة والضلال، لا يكلف نفسه عناء البحث عن الحق ليتشرف بمعرفته ويسعد باتباعه. ثم تنظر في سورة البقرة، فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المفصل بالمجمل فالهداية إلى صراط المستقيم صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، تشرحها سور البقرة وما وليها من سور القرآن حيث جاءتنا بتفاصيل هذه الهداية، في بيان كامل، وعرض شامل) [2]. وقد بينت في حكمي ذكر الآيات بعد سابقتها مقاصد أخري من الترغيب والترهيب وإقامة العقيدة واستقامة السلوك إلى غير ذلك مما سبق بيانه.

(١) الفاتحة (٧).

(٢) نفس المصدر ص (٢٢٨).

الخاتمة

من خلال هذا البحث تجلت أمور منها: -

١- اشتمال الفاتحة على أمهات مقاصد القرآن الكريم لذلك سميتها جامعة المقاصد.

٢- تعظيم ثمرات دراسة المقاصد بالنظر إلى المفردات التي تدل عليها والعبارات التي تتضمنها.

٣-تضمنت الفاتحة أصولا جاء بيانها في القرآن لذلك سميت بأم الكتاب أم القرآن.

٤-تجلت عظمة الأسلوب القرآني في عرض مقاصد هذه السورة والحكم الجليلة في ترتيب هذه المقاصد.

٥-إذا كانت المقاصد تعرف بتدبر الآيات فقد قدمت تفسيرا مجملا تتجلي بعده مقاصد الآية على غير عادة المفسرين حيث يفتتحون السورة بعرض مقاصدها أولا ثم يشرعون في تفسيرها فعلى من يتعرض لمقاصد السور الطول أن يسوق مجمل تفسير الآيات في كل مقصد وعلى من يتعرض لتفسير السور معدودة الآي أن ينظر في الألفاظ ودلالاتها من خلال العبارة وما تتضمنه عن طريق الإشارة.

٦-تجلي إعجاز القرآن في مجمله ومفصله حيث تري في الفاتحة جمال الإجمال دون اختلال ولا تري في غيرها ملل الإسهاب فكل في نظمه معجز أنه كلام الله وكفي.

٧-إذا كان على المؤمن أن يجدد ايمانه فها هي الفاتحة إذا استحضر المصلي بقلبه وعقله معانيها وقد حوت أصول الإيمان ومقاصد القرآن هنالك يرقي في درجات الإيمان وتؤتي الصلاة ثمرتها وتتحقق للنفس سعادتها في الدارين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ــ الجامع لأحكام القرآن الكريم تفسير القرطبي لأبي عبد الاه محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق إبراهيم محمد الجمل.

٢ــ الشيطان والإنسان بين أوليائه وأعدائه للشيخ عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي.

٣ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لابي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي.

٤ــ المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي الطبعة الرابعة لسنة ١٤١٥-١٩٩٤ ط دار الصحوة للنشر.

٥ــ المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن على الفيومي المقرئ طبعة جديدة محققة اعتني بها الاستاذ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية (بيروت – صيدا).

٦ــ أمهات مقاصد القرآن لعز الدين كشنيط رسالة دكتوراه –الجزائر.

٧ــ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور عبد الله محمود شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٧٩

٨ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزبز لمجد الدين الفيروز آبادي تحقيق الاستاذ محمد على النجار ط ٣لسنة ١٤١٦-.١٩٩٦

٩ــ تفسير أسماء الله الحسني لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد تحقيق أحمد يوسف الدقاق طبعة دار الثقافة العربية – دمشق.

١٠ــ تفسير المراغي لصاحب الفضيلة الاستاذ الكبير المرحوم احمد مصطفي المراغي أستاذ الشريعة الاسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا خرج آياته وأحاديثه باسل عيون السود ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١١ــ جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري (٢٢٤-٣١٠ه).
١٢ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي.
١٣ــ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة البخاري ط دار الأرقم بيروت.
١٤ــ صحيح مسلم بشرح النووي ط الثقافة العربية.
١٥ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري تحقيق حمزة النشرتي.
١٦ــ مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن أبي بكر بنعبد القادر الرازي ط دار المنار.
١٧ــ قسم الرحمن في القرآن رسالتي في الدكتوراة.
١٨ــ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ط دار صادر ط ١٠
١٩ــ مفاتيح الغيب للأمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي الشافعي ط دار الغد العربي لسنة ١٩٩٢م- ١٤١٢ ه.
٢٠ــ مقاصد القرآن عند المتقدمين والمتأخرين للدكتور عيسى أبو عكاز جامعة باتنه.
٢١ــ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط دار الفكر.
٢٢ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي ط دار الكتب بيروت إلى غير ذلك.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	٧٣
أولًا: - التعريف بالمقاصد وأهميتها.	٧٤
ثانيا: - التعريف بسورة الفاتحة .	٧٧
الخاتمة .	١١٤
المصادر والمراجع .	١١٥
فهرس الموضوعات .	١١٧